# تجارة الأسلحة النارية فى جنوب افريقيا
# فى أواخـــر القرن التاســـع الميلادى
# والآثـــار المترتبـــة عليهـــا

اعداد : د / محيى الدين محمد مصيلحى

موضوع تجارة الأسلحة النارية من الموضوعات التى حظت بالقليل من الدراسات المتخصصة ، رغم أهميتها بالنسبة لافريقيا ، لأنها ترتبط ارتباطا مباشرا باستغلال القارة واستعمارها ، وتبرز آثار استخدام نتاج الحضـــارة الأوربية فى التوســـع والســـيطرة وانهاك القوى البشرية والثروات التعدينية لقارة كانت بكر االى عهد قريب • وعلاقة افريقيـــا بالأسلحة النارية علاقة قديمة ترجع الى الفترة التى أعقبت اكتشـــاف الأمريكيتين ، لأنها حلت محل الأسلحة التقليدية فى الردع والقهر وصيد الرقيق من أجل شحنه من سواحل افريقيا لحساب الأوربيين الى العـــالم الجديد •

وقـــد دخلت الأسلحة النارية الى جنوب القارة الافريقية منذ بدء وصول الأوربيين اليها فى السنوات الأخيرة من القرن الخامس عشر (١) ، حين تمكن البرتغاليون من الالتفاف حول افريقيا عن طريق رأس الرجـــاء الصالح ، وازداد دخول هذه الأسلحة مع بدء الاستقرار الأوربى فى

---

(١) شوقى عطا الله الجمل ـــ تاريخ كشف افريقيا واستعمارها المعادى ١٩٨٠ ـــ الطبعة الثانية ص ١٧٥ .

هذه المنطقة على يد الهولنديين فى عام ١٦٥٢ [٢] ، وتسربت هذه الأسلحة من مستعمرة الرأس جنوبا الى بقية أجزاء جنوب القارة مع المستوطنين والتجار الأوربيين والمبشرين ، ولعب المسئولون الأوربيون دورا كبيرا فى رواج هذه التجارة فى هذا الجزء من القارة الافريقية •

وكانت تجارة الأسلحة النارية فى جنوب افريقية تجارة مشروعة بالنسبة للأوربيين ، فى الوقت الذى حظرت فيه رسميا حيازة السلاح لأول مرة بالنسبة للافريقيين منذ عام ١٦٧٧ فى مستعمرة الرأس [٣] ، وقد برر الأوربيون ضرورة حيازتهم للأسلحة لحاجاتهم اليها للدفاع عن النفس ضد اعتداءات القبائل الافريقية ، ولصيد الفيلة ، وقتل الحيوانات المفترسة ، وفى صيد الرقيق الأسود للعمل فى أراضيهم الزراعية ورعى القطعان الأوربية [٤] واستخدم الأوربيون هذه الأسلحة النارية فى توسعهم من الرأس تجاه الشمال ، وبفضل هذه الأسلحة النارية تمكن البوير من تأسيس مستعمرة فى الأورنج الحرة والترنسفال •

وتعلم الافريقيون طريقة استخدام الأسلحة النارية من الأوربيين ، واشترك الافريقيون الموالون لهم فى الاغارة على اخوانهم من رجال القبائل التى تصدت بالمقاومة للأوربيين • ووصلت الأسلحة النارية الى الافريقيين عن طريق الرقيق الهارب من مزارع الأوربيين ومراعيهم ، وكان هذا الرقيق يفر أحيانا بعد أن يتمكن من سرقة بعض الأسلحة النارية من مزارع البيض ، وكانت هذه الأسلحة تصل الى الافريقيين الذين يستخدمونها فى مقاومة البيض •

---

(2) Shula Marks and Anthony Atmore, Journal of African History, Vol. 12. No. 4, 1971. Firearms in Southern Africa, p. 517.

(3) Agra Hamilton, The Native policy of the voortrekers, Capetown, 1928, p. 5-10.

(4) Shula Marks and Anthony Atmore. op. cit., pp. 518-519.

ومن ناحية أخرى كان البوير يستخدمون قبائل الهوننتوت الموالية لهم من أجل مساعدتهم فى القبض على الرقيق الهارب ، وكان شـــرط الاستخدام هو معرفة استخدام الأسلحة النارية [٥] وعلم الهتونتوت أخوانهم من الافريقيين استعمال السلاح ، وزودهم بها فى أحيان كثيرة .

وأحس الأوربيون بالخطر من جراء حيازة الافريقيين للأســـلحة النارية ، فطبقوا الحظر على حيازته واستخدامه حتى بالنسبة للقبائل الموالية لهم ، وشمل الحظر الهتونتوت ، أنفسهم ، وظل جنوب افريقية يشهد سلسلة من التقييدات على حيازة الافريقيين للسلاح ، وكان آخر هذه الحظورات هو الحظر الذى طبقه الناتال فى عام ١٩٠٦ على حيازة الأسلحة للافريقيين ، ويشير الفشل فى تطبيق سياسة الحظر على حيازة الافريقيين للأسلحة النارية على امتداد أكثر من قرنين ونصف قرن الى عدة ظواهر منها : الربحية العالية التى كان يجنيها بائعو السلاح [٦] ، والتراخى الذى كانت تبديه السلطات الاستعمارية بالنسبة لرواج هذه التجارة ، والتورط من جانب المســئولين أنفسهم فى هــذه التجارة [٧] واشتغال وسائط قبليين فى عمليات نقل الأســلحة من الســاحل نحو الداخــل ، هذا فضلا عن أن هذا الرواج يؤكد اهتمام الافريقيين بحيازة الأسلحة النارية ، وادراكهم لتفوقها على أسلحتهم التقليدية ، وهــذه ظواهر تستحق الدراســة والتحليل ، وسنحاول التعرض لها فى هــذا البحث :

ويلاحظ أن الافريقيين رغم طول عهدهم بالأسلحة النارية فى جنوب القارة فانهم ظلوا حتى أواخر القرن التاسع عشر يستخدمونها استخداما محدودا لا بسبب الحظر على حيازتهم لها ، وانما بسبب ارتفاع أسعارها

---

(5) C. O. 107 No. 58898, O. Laryon to Barry, May 28, 1878.

(6) F.O. 5732/73 Scott to Salisbury, June 14, 1888.

(7) J. B. R. Wallis, The Matabele Journals of Robert Moffat, London, 1945, p. 91.

وجهلهم بطريقة تشغيلها وصيانتها ، وصعوبة نقلها من منطقة لأخرى ، واستحالة استخدامها فى موسم المطر ، وظلوا يفضلون الأسلحة التقليدية عليها كالسهام والرماح والأقواس [٨] • واقتصر استخدام الافريقيين لها على المفاخرة بها ، واضفاء الهيبة على أنفسهم باقتنائهم لها ، وعلى اطلاقها للتحية ، أو الارهاب لاعدائهم القبليين بصوت فرقعتها المرتفعة ، ولصيد الحيوانات البرية [٩] ، أما استخدامها فى الحروب القبلية فكان نادرا ، أما فى الحروب ضد الأوربيين فانهم أدركوا أن قلة ما بيدهم من سلاح نارى لا يجعلهم قادرين على مواجهة البيض ، وعلى هـذا فانهم نادرا ما استخدموها ضدهم حتى أواخر القرن التاسع عشر ، بل كثيرا ما تجنبوا الدخول فى حروب نظامية مع الأوربيين لأجل هذا السبب [١٠]، وكانوا يلجأون الى حرب العصابات ضدهم ، وساعدهم على هذا معرفتهم الجيدة بظروف بلادهم الجغرافية ، ونجحوا فى ذلك نجاحا ملحوظا •

## أواخر القرن التاسع عشر وتجارة الأسلحة النارية فى جنوب افريقية :

وأدى التكالب الأوربى على القارة الافريقية فى النصف الأخير من القرن التاسـع عشر ، وما صـحبه من زيادة وفود المغامرين والتجار والمبشرين الأوربيين الى افريقيا الى زيادة دخول الأسلحة النارية الى جنوب افريقية • وفى أوربا ارتبطت ظاهرة تصدير السلاح الى افريقيا بالتطورات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى كانت تسود هـذه القارة فى تلك الفترة • ذلك أن القارة الأوربية شهدت تطورا صـناعيا كبيرا ترتب عليه التقدم فى صناعة السلاح وتطوره ، والاستغناء عن

---

(8) Shula Mrks Anthony Atmore. Op. cit., p. 518.

(9) W. R. Chanler, Through Jungle and Desert, London, 1986, p. 217.

(10) Beachey, R. W. The Arms Trade in East Africa, in the late 19th century, Journal of African History Vol. 8, No. 3, 1962. pp. 451-452.

المخزون الضخم العتيق الذى تبقى لدى دولها منذ حروب نابليون والقرم [11] .

ولم يكن أمام أوربا الا أن تصدر الفائض من السلاح العتيق الى افريقيا التى كان يناسبها هذا الطراز من السلاح لتأخرها ، وعدم دراية كثير من سكانها بنوعيات الأسلحة الجيدة — هذا فضلا عن أن هذه الأسلحة النارية كانت تبهر الكثير من الافريقيين لتفوقها على الأسلحة التقليدية التى خبروها . ورأت أوربا أن تصدير هذا السلاح العتيق الى افريقيا يحقق لها تخلصا من مخزون سلعى أصبح لا قيمة له ، بل أن كثيرا منه كان قد فقد فاعليته ، وأصابه العطب [12] ، ويتيح لها الحصول على عائد مالى ضخم من بيعه ، وذلك لأن أسعار السلاح فى افريقيا كانت مرتفعة بسبب تهافت الافريقيين عليه . وأتاحت ضخامة الأساطيل التجارية الأوربية فرصة جيدة لتصدير السلاح . وفى الوقت الذى كان بيع الأسلحة النارية يمثل عائدا اقتصاديا جيدا ، فانه كان يساعد الدول الأوربية على التوغل فى الداخل من أجل رواج التجارة المشروعة ، لأنه عن طريق هذا السلاح كان يمكن للتجار الأوربيين أن يأمنوا لأنفسهم الملاحة الحرة فى الانهار الافريقية ونقل بضائعهم الى الداخل .

ويلاحظ أن التقدم التكنولوجى قد صحبه فى أوربا زيادة فى سكانها نتجية ارتفاع المستوى الصحى ، كما صحبه فائض فى العماله ، وهجرة الفائض لرأس المال الصناعى ، وعلى هذا ارتبطت هذه الظواهر بظاهرة الاستعمار الاستيطانى فى افريقيا حيث تجد العمالة الفائضة ورأس المال المصدر فرصا متزايدة للنمو داخل القارة البكر ، واتضح أثر هذه العوامل فى ضغط المستوطنين البريطانيين فى الرأس على البوير وهجرة البوير الى الشمال ، وصحب هذا استخدام متزايد للأسلحة النارية من جانب الأوربيين ضد الافريقيين لازاحتهم من المناطق الخصبة الملائمة الى أماكن أقل

(11) Ibid., p. 451.

(12) Ibid, pp.451-452.

خصوبة [١٣] على نفس النسق الذى حدث فى الأمريكتين حين طـارد المستوطنون السكان الأصليين ودفعوهم الى أماكن نائية سيئة ، وأتاحت المذاه بالاقتصادية التى راجت فى أوربا فى الربع الأخير من القـرن التاسع عشر والتى نهضت أساسا على مبدأ حرية التجارة للأوربيين [١٤]، فى مستعمرات جنوب افريقية فرصا واسعة للحصول على الأسلحة النارية بكميات كبيرة •

**ولنا ملاحظات حول تجارة الأسلحة النارية فى جنوب افريقية فى أواخر القرن التاسع عشر :**

أولا : أن نوعية الأسلحة النارية التى وصلت الى جنوب افريقية كانت أعلى بكثير من هذه الأسـلحة التى وصلت الى أجزاء أخرى من افريقيا لعدة أسباب أهمها أن الافريقيين فى الجنوب كانوا أكثر خبرة من غيرهم فى استخدام الأسلحة النارية لطول معاشرتهم للأوربيين ، كما عرفوا طريقة صيانتها واصلاحها ، الى جانب تصنيع البارود محليا فى حالة قلة المستورد منه [١٥] ، هذا فضلا عن أن الأسلحة المصـدرة لهذا القسم من القارة كان يقصد بها أن تصل الى أيدى طائفة من الأوربيين الذين استوطنوا به ، وأقاموا به اقامة دائمة ، ومن هنا كان ضروريا أن تكون نوعية السلاح عالية ، خاصة وأن جنوب القارة كان قد طبق به الحظر الرسمى على حمل الافريقيين لهذه الأسلحة منذ وقت طويل ، ولم تشهد أجزاء القارة الأخرى مثل هذا الحظر بالنسبة للافريقيين الا فى أعقاب مؤتمر بروكسل الخاص بمنع تجارة الرقيق والذى عقد فى عام ١٨٨٩ ، وتعرض لتجارة الأسلحة النارية لعلاقتها المباشرة بصيد الرقيق •

---

(١٣) شوقى عطا الله الجمل : مرجع سابق ، ص ٥٨٦ .

(14) Alpert, Paul, Economic History of Europe in the 20th century, New York, 1951, pp. 3-8.

(15) Anthony Atmore and others, Firearms in south central Africa, Journal of Africa History, Vol. 12, No. 4, p. 545.

ثانيا : أن كميات السلاح التى وصلت الى جنوب القارة كانت كبيرة بسبب وفود معظم المبشرين والتجار الأوربيين عبر هذا القسم من افريقية فى طريقهم الى وسط وشرق افريقية ، وكان طريق المبشرين الذى يبدأ من شمال غرب الترنسفال وعبر البتشوانالاند ، هو المنفذ الرئيسى للولوج من الجنوب الى الشمال [١٦] ، ورغم كبر حجم تجارة الأسلحة فى الجنوب فانها كانت أقل حجما من تجارة الأسلحة فى شرق افريقية ، لأن تجارة شرق القارة من الأسلحة ارتبطت بتجارة العاج والرقيق ، وقد اشترك فى هاتين التجارتين الأوربيين والهنود والافريقيين والعرب على السواء لضخامة أرباحهما •

ثالثا : أن تجارة الأسلحة النارية فى جنوب القارة لم تستخدم من أجل صيد الرقيق وشحنه الى الخارج ، لأن مستعمرات الجنوب قد حرمت فيها تجارة الرقيق منذ ولوج الأوربيين اليها [١٧] ، ولكن الأسلحة النارية استخدمت فى صيد الصبية الافريقيين من أجل تشغيلهم فى مزارع البيض بعد تدريبهم على أعمال الفلاحة والخدمة المنزلية •

رابعا : أن تجارة الأسلحة فى جنوب افريقية لم تكن قاصره على دولة أوربية بعينها ، وانما اشتركت فيها دول أوربية كثيرة الى جانب الولايات المتحدة ، ولم تنفرد انجلترا وحدها بهذه التجارة باعتبارها دولة لها السيطرة على جنوب القارة ، لأنها كانت قد تخلت عن مبدأ حماية التجارة ونادت باطلاق حرية التجارة ، وعلى هذا كانت موانىء الجنوب مفتوحة أمام شركات السلاح الأوربية [١٨] ، وانما حدث التنافس الحر بين الشركات من أجل الربح دون اعتبار للدمار أو الآثار السلبية الأخرى التى أحدثتها هذه التجارة فى الجنوب •

---

(16) Guy. T.T. A Note on firearms in the Zulu kingdom, The same Issue of J.A.H. pp. 558-559.

(17) Shulu marks and Anthony Atmore, Op. cit., p. 519.

(18) Anthony Atmore and others, Op. cit., p. 547.

خامسا : أن الشركات التى صدرت السلاح الى جنوب القارة عملت أيضا فى تصدير مواد التجارة المشروعة الأخرى ، بمعنى أن هـذه الشركات كانت متعددة الأنشطة ، وأنها لم تتخصص فى تصدير السلاح ، بل كانت هذه الشركات كثيرا ما تخفى الأسلحة تحت صناديق التجـارة المشروعة حين تفرض احدى مستعمرات الجنوب حظرا على السـلاح وتصديره للقارة (١٩) .

سادسا : أن تصدير السـلاح الى جنو بافريقية ارتبط ارتباطا مباشرا بالظروف السياسية فى أوربا ففى أعقاب حرب السبعينات بين ألمانيا وفرنسا ، قلت صادرات فرنسا من السلاح ، وزادت صـادرات ألمانيا ، بينما ظل لانجلترا أكبر نصيب فى هذه التجارة بسبب ظروفها السياسـية المسـتقرة وازدهارها الاقتصـادى داخل القـارة الأوربية وخارجها (٢٠) ، وسيطرتها الاستعمارية على مستعمرات جنوب افريقيا . وارتبطت السيطرة والتفوق السياسى بالنوعية العالية المصدرة من السلاح فكانت الأسلحة الانجليزية تأتى فى المرتبة الأولى ، وتليها الأسـلحة الألمانية.

سابعا : أن أية محاولات لحظر تصدير السلاح كانت لا تلقى نجاحا كبيرا بسبب عدم التزام مستعمرات الجنوب جماعيا بأى قرار حظـر يصدر ، هذا الى جانب تراخى بريطانيا فى الضغط على المسـتعمرات لتنفيذ الحظر حرصا منها على أرباح تجارة السلاح العالية (٢١) .

وتذكر تقارير الرحالة والمبشرين الأوربيين أن أرباح تجارة الأسلحة النارية كانت عالية ، ومن ثم تحدى المبشرون والتجار قرارات الحظر

(19) Sue Miers, A Note on the Arms trade, Government Policy in southern Africa Between 1870-1880, Journal of African History, Vol. 12 No. 4, p. 571.

(20) Alpert, Paul, Op. Cit., pp. 3-7.

(21) Brookes, E. H. The History of Native Policy in South Africa, p. 124.

على حيازة الافريقيين للسلاح ، وحملوها لهم الى الداخل ، وعمل كثير منهم وكلاء لشركات السلاح الأوربية ، ودربوا الافريقيين على استخدامها ورافقوهم فى حروبهم القبلية ورحلات صيدهم • كما وصلت الأسلحة النارية عن طريق وسطاء افريقيين الى الداخل ، وتقاضى هؤلاء الوسطاء عمولات كبيرة من شركات السلاح نظير تسويق السلاح وبيعه لاخوانهم الافريقيين ، ومن هؤلاء الوسطاء افريقيون من قبائل المفنجو (Mfengu) [٢٢] • وقد ثبت تورط مبشرين أوربيين فى بيع السلاح للافريقيين فى جنوب افريقيا ، من هؤلاء المبشر الانجليزى الابن جون موفات (John Moffat) الذى كان يعمل فى جنوب افريقية لحساب جمعية لندن التبشيرية L.M.S. الذى باع الأسلحة لقبائل الزولو فى كرومان Kurman [٢٣] وذكر المبشر الانجليزى الأب روبرت موفات أن ملك المتابيلى لوبنجولا (Lobengula) قد اشترى بندقيته من مسئول كبير فى حكومة يدعى فيلجون Viljoen • وقام هوفمان (Hoffman) فى عام ١٨٥٢ ببيع ٥٠٠ طلقة نارية وعدد من البنادق للزعيم موشيشى (Moshwshe) زعيم السوتو [٢٤] ، وقد أصبح هوفمان فى عام ١٨٥٤ أول رئيس لجمهورية الأورنج الحرة • وتأكد تورط المبشر الانجليزى ليفنجستون (Livingstone) الذى اكتشف نهر الزمبيزى فى بيع الأسلحة النارية للافريقيين • وقد أثار هذا العمل من جانبه البوير ضده فقاموا بالهجوم

---

(٢٢) كانت قبائل المفنجو من القبائل التى تسكن فى الناتال ، ثم رحلت عنها الى شرق الكاب ، وكانت موالية للبريطانيين ، وكانت تبيع الأسلحة لقبائل الاكسوز

(٢٣) كانت كرومان هى المقر الرئيسى لجمعية لندن التبشيرية التى تأسست فى عام ١٧٩٥ بهدف التبشير فى آسيا وافريقيا ، وتقع كرومان على الحدود الغربية للترنسفال .

(٢٤) تنتمى قبائل السوتو الى مجموعة البانتو ، وتنقسم هذه القبائل الى قسمين جنوبى يسكن مستعمرة الكاب وقسم شمالى يسكن منطقة نهر الأورنج .

عـلى مقـره وتهديم منزله ، وكـان من بين المهاجمين بـول كروجر (Paul kruger) الذى أصبح فيما بعد رئيسا لجمهورية الترنسفال [٢٥]، وعلا شـأن المبشرين فى نظر الافريقيين واعتبروهم رؤساء لحكومات وملوكا مستقلين ، وذلك لقدرتهم على شحن الأسلحة التى يحتاجون اليها رغم حظر السلطات الرسمية لحيازة السلاح بالنسبة للافريقيين • ويدل على هذه المكانة التى حظى بها المبشرون لدى الزعماء الافريقيين ما أطلقه الزعيم الافريقى مزيلكازى (Mzilikazi) زعيم الزولو عـلى موفـات فوصفه بأنه « ملك كرومان » ومهندس معركة ديتاكونج (Dithakong)

ورغم مهارة بعض الافريقيين فى استخدام السلاح النارى ، فان كثيرا من الافريقيين كانوا يجهلون استعماله ، واستغل التجار الأوروبيون هذا الجهل ، ومدوهم على حد وصف أحد الكتاب المعاصرين بأحط الأنواع وأردأها وبأسلحة عديمة الجدوى تقريبا • وكان الافريقيون يقايضون على الحبوب والماشـية والعاج بالأسـلحة النارية ، وارتبطت حيازة الافريقيين لأعداد متزايدة من الخيول بزيادة طلبهم على الأسلحة النارية فى جنوب افريقية ، وذلك بعد أن كثر اسـتخدام الافريقيين لسـلاح الفرسان الذى نقلوه عن الأوربيين [٢٦] •

وكان السوتو يبعثون بشبابهم من أجل العمل فى مناجم الماس فى جركولاند وست Grqualand West [٢٧] وفى مشروع خط حديد الكاب — كبمرلى (Kimberley) بهدف الحصول على الأسلحة النارية ، وكانت أهم

---

(25) Anthony Atmore and others, Op. Cit., p. 548.

(26) Richard Brown, External Relations of the Ndebele kingdom in the Pre-Partition Era, in leonard Thompson (ed.) African societies in Southern Africa, London, 1969, p. 262.

(٢٧) تقع جركولاند وسـت شمال مستعمرة الرأس ، وكانت منطقة مستقلة قبل اكتشاف الماس فيها فى عام ١٨٧٠ ، ثم ضمت لأهميتها التعدينية الى مستعمرة الرأس .

البنادق التى يتهافتون عليها هى بنـــادق سنيدرا ينفلد Snider Enfield وويت روث White Worth [٢٨] ، وتكدست الأسلحة فى يد السوتو ، وخشت سلطات الكاب سوء العاقبة ففرضت الحظر على بيعها للافريقيين فى عام ١٨٧٣ ، ورغم الحظر الرسمى فان الالتزام به كان ضعيفا ، والغريب أن سلطات مشروع الخط الحديدى رفضت بيع الأسلحة النارية للسوتو ، فى الوقت الذى توفرت فيه هذه الأسلحة فى الحوانيت فى منطقة كرادوك Cradock التى تقع على مقربة من منطقة المشروع [٢٩]. ويوضح هذا مدى التحايل وعدم الالتزام بالأوامر الرسمية الخاصـــة بحظر السلاح من حظر الأوربيين والافريقيين على السواء . ويبدو أن السوتو قد عرفوا فوائد اســـتخدام الأسلحة النارية فى صـــيد الفيلة والتغلب على الأعداء ومجابهة المستوطنين الأوربيين ، ومن ثم فقد تصدت هذه القبائل على امتداد أكثر من عامين كاملين لمحاولات سلطات الكاب لنزع سلاحها ، وذلك فى الفترة ما بين يناير ١٨٧٩ ، وأبريل ١٨٨١ ، ولقى أكثر من تسعمائة جندى بريطانى مصرعهم فى الصراع المسلح ضد السوتو الذين ثبت حسن استخدامهم للسلاح ومهارتهم فى اصـــلاحه وصيانته [٣٠] .

وتشير وثائق وزارة المستعمرات البريطانية الى أنه فيما بين عامى ١٨٦٧ ، ١٨٧٥ أعيد تسليح كل دول أوربا بالأسلحة الحديثة ، وان كميات كبيرة من الأسلحة العتيقة أصبحت جاهزة للتصدير ، وتواكب هـــذا مع زيادة الطلب على السلاح من جانب الافريقيين ، ووجد تجار السلاح أن بيع الأسلحة العتيقة مربح للغاية ، ولم تكن مستعمرات جنوب افريقية البريطانية على استعداد للاستغناء عن الأرباح الضخمة التى كانت تأتى اليها من استيراد السلاح العتيق ، وتشير احصائيات وزارة المستعمرات

(28) Anthony Atmore and Peter Sanders, Op. Cit., p. 541.

(29) Ibid., p. 542.

(30) Cape Blue Book for Native Affairs, 1879, A Report quoted by Anthony Atmore and Peter Sanders, Op. cit., p. 542.

الى أنه فيما بين ١٨٧٢ ، ١٨٧٧ تم استيراد ٦٠ ألف قطعة من السلاح فى الناتال ، وأن نحو ٨٥٪ من كمية هذه الأسلحة كانت عتيقة ، وأن المخزون العتيق قد خصص لاستخدام الافريقيين ، وأن سعر القطعة من هذه الأسلحة كان يعادل سبعة شلنات ، وستة بنسات فى بروسيا (٣١) • وتشير المصادر المعاصرة الى أن معظم الأسلحة دخلت الى منطقة الزولو عبر خليج دلاجو • وعند وصول الأسلحة الى موانى جنوب افريقيا يتسلمها تجار السلاح الأوربيون ، حيث يقومون ببيعها للافريقيين من الزولو مقابل الماشية • وتجمع الماشية التى تم شرائها وتساق جنوبا الى النآتال حيث يتم بيعها بأسعار مرتفعة ، وهكذا تتضمن عملية بيع السلاح عدة عمليات تجارية ، تدر على كل عملية منها أرباحا كبيرة • ويمكن تصور مدى الربحية العالية اذا عرفنا أن قطعة واحدة من السلاح كانت تباع للافريقيين بما يعادل عشرين جنيها استرلينيا ، أو ما يعادل أربعة رؤوس من الماشية فى منتصف السبعينات من القرن التاسع عشر (٣٢) • وحسب تقديرات نائب القنصل فى موزبيق فان ما يعادل ١٢٠ ألف بندقية قد مرت عبر موانىء هذا البلد الافريقى ، بالاضافة الى عشرة آلاف برميل من البارود ، وأن ثلاثة أرباع هذه الكمية من السلاح المستورد قد دخلت الى أرض الزولو فيما بين عامى ١٨٧٥ ، ١٨٧٧ (٣٣) • غير أن التقارير تشير فى الوقت نفسه الى كمية السلاح التى اشتراها الزولو من الأوربيين بعد عام ١٨٧٩ — وهو العام الذى اندلعت فيه الحرب بين الزولو والانجليز ، قد انخفضت ، وأن أسعار السلاح بدأت تتناقص ، ومن المعتقد ان السبب فى انخفاض الاقبال

---

(31) C.O. 879, 14/16, No. 9, Bulwer to Hicks Beach 29, April, 1878.

(32) J. J. Guy, A Note on firearms in the Zulu Kingdom, Journal of African History, Vol. 12, p. 560.

(33) C.O. 879; 17/208 No. 4, F.O. to C.O., Report by Vice consul, Mozambique 22 Sept., 1879.

على شراء السلاح من جانب الزولو يعود الى ادراكهم لفساد الأسلحة التى اشتروها ، وعدم جدواها فى الحرب مع الانجليز [٣٤] • وقد بلغ من انخفاض أسعار السلاح أن قطعة السلاح النارى كانت تباع بما يعادل ثمن رأس واحدة من الماشية ، ومع هذا فانه كان يمكن للتجار الأوربيين تحقيق أرباح لا بأس بها اذا باعوا بهذه الأسعار المنخفضة •

ولا تتوفر لدينا احصائيات متكاملة عن حجم الأرباح التى جنتها شركات السلاح الأوربية من بيع الأسلحة النارية فى افريقيا ، ويبدو أن السبب فى هذا يرجع الى تعدد شركات السلاح واختلاف جنسياتها ، وحرص هذه الشركات على اخفاء حجم أرباحها الضخم من عمليات تسويق السلاح بسبب المنافسة الشديدة فيما بينها ، ولاخفاء مظهر الاستغلال البشع الذى مارسته ضد الافريقيين ، غير أن وجود بيانات متناثرة فى الوثائق البريطانية وكتب الرحالة عن حجم السلاح النارى المتوفر لدى القبائل الافريقية فى الجنوب ، وحجم الأسلحة المطروحة للبيع فى الأسواق الافريقية يكشف عن ضخامة هذه التجارة وارتفاع عائداتها • ففى تقرير الى الحكومة البريطانية كتب المسئول البريطانى بالجريف (Palgrave) الذى أرسل كمندوب خاص الى جنوب غرب افريقيا فى عام ١٨٧٦ يقول أنه وجد كل الرجال والصبية الذين تبلغ أعمارهم اثنى عشر عاما مسلحين بالبنادق الجيدة ، وأنه لاحظ أن كميات ضخمة من الأسلحة النارية مطروحة للبيع فى السوق ، قدرها بما لا يقل عن ستين ألف بندقية ، وأكثر من عشرين طنا من البارود ، وكمية مماثلة أخرى من الرصاص [٣٥] • وفى عام ١٨٩٣ كتب جون موفات Moffat فى رسالة الى هنرى لوك (Loch) المندوب السامى البريطانى يقول أنه لاحظ أن قبائل النجواتو (Nagwato) فى محمية

---

(34) J. J. Guy op. cit., p. 561.

(35) Palgrave, W. C. A. Mission to Damarland and Great Namaquland in 1876, Capetown 1877, p. 22.

يستهلكون سنويا نحو ٤٠٠ ألف طلقة ذخيرة ، وأشار موفات الى علو سعر الأسلحة النارية فذكر أن سعر البندقية الجيدة يصل أحيانا الى البتشوانا لاند لديهما ما يتراوح بين ثلاثة الى أربعة آلاف بندقية ، وأنهم خمسين دولارا [٣٦] . ويقدر دى كويت (De. Kewiet) أن حجم ما وصل من سلاح نارى الى مناجم الماس فى جنوب افريقيا خلال التسعة أشهر الأولى من عام ١٨٧٣ يقدر بنحو ثمانية عشر ألف بندقية ، ويشير الى أن معظم هذه البنادق قد بيعت فى جركولاند وست (Griqualand West) وحملها الافريقيون الى منطقة جنوب غرب افريقية [٣٧] . ويشير الرحالة الى العلاقة المباشرة بين الاقبال على العمل فى مناجم الماس وحقول الذهب فى جنوب افريقية والتهافت من جانب الافريقيين على الحصول على الأسلحة النارية ، فيذكر أحد التقارير أن ما يزيد على ٤٫٥٠٠ من التسوانا (Tswana) ، ٥٠٠ من المانابيلى (Matabele) وتسعة آلاف من البيدى (Pedi) كانوا يعملون فى مناجم الماس فى عام ١٨٨١ ، وأن هؤلاء كانوا يتقاضون أجورهم فى شكل أسلحة نارية بدلا من الأجر النقدى [٣٨] . ولا شك أن هناك علاقة قوية بين ازدياد حجم العمالة الافريقية من البيدى (Pedi) ، وما جاء فى تقرير آخر عن تعداد جيشهم القبلى ، والذى قدر بنحو ١٢ ألف مقاتل أكثر من ثلثه مسلح بأسلحة نارية متقدمة [٣٩] . ويلفت النظر فى التقارير هذه والتى ترجع كلها الى ما بعد منتصف السبعينات من القرن التاسع عشر أنها تصف ما فى أيدى الافريقيين من

---

(36) C. O. 417/91 Moffat to loch Jan 7/1893.

(37) De Kewiet, the Imperial factor in South Africa, London, 1937, pp. 18-19.

(38) Anthory Armore and Others Op. Cit., p. 550.

Quoting the Cape Blue Book on Native Affairs, 1888, (pp. 182/183).

(39) K. W. Smith. The fall of the Bapedi of the North Eastern Transvaal. Journal of Afr. Hist Vol. X. No. 2, 1969, pp. 239-252.

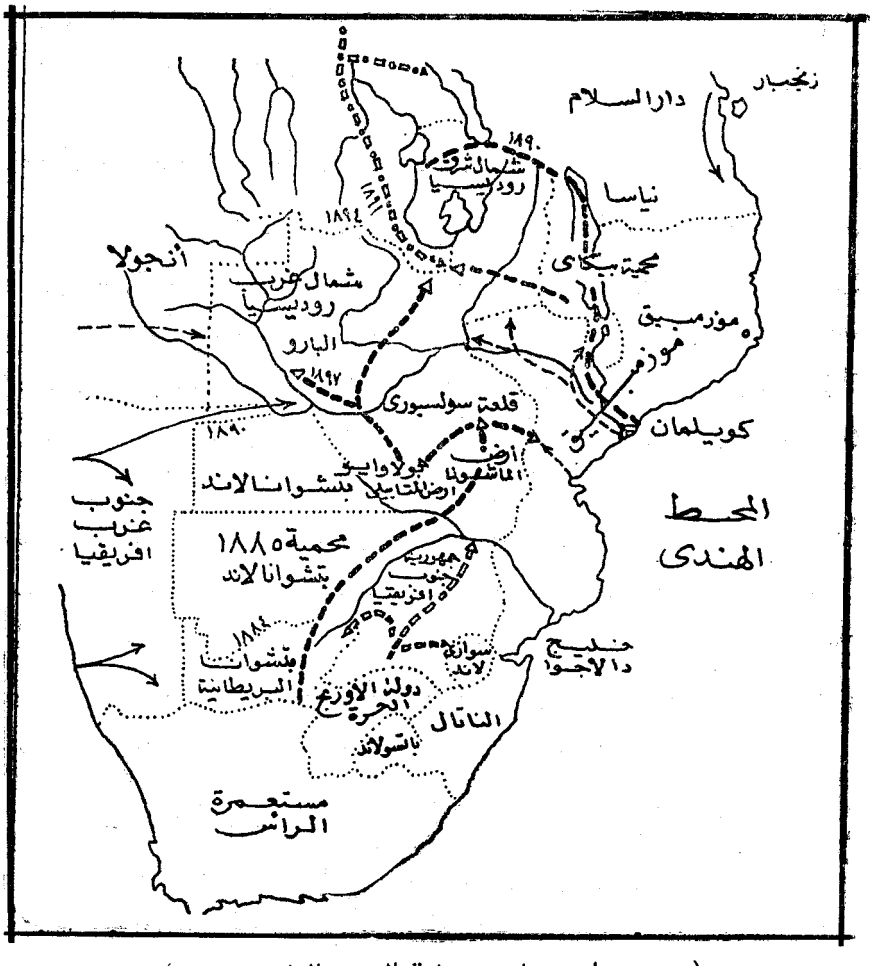


( جنوب افريقيا فى نهاية القرن التاسع عشر )

أسلحة نارية بأنها عالية النوعية [٤٠]. وترجع سبب حيازة الافريقيين لنوعيات عالية من السلاح الى طول تمرسهم بالأسلحة النارية ، الى جانب أنهم أصبحوا أكثر ادراكا لخداع الأوربيين من تجار السلاح ، فرفضوا النوعيات المنخفضة .

## مصادر الأسلحة الواردة لجنوب افريقيا :

وقد دخلت الأسلحة النارية الى جنوب القارة من جهات متعددة ، وعلى سفن تتبع دول أوربية كثيرة . وأسهم الألمان والبرتغاليون والانجليز بصفة أساسية فى هذه التجارة خاصة تلك المتجهة من الجنوب تجاه الشمال ، ووصلت الأسلحة النارية الى الشونا والمتابيلى والجازا والفاندا (Venda) ، وساعد على انسياب الأسلحة النارية تجاه الشمال أن تجارة الأسلحة النارية ظلت مشروعة فى المنطقة التى تلى المستعمرات الانجليزية فى جنوب افريقية شمالا حتى عام ١٨٩٠ ، أى الى وقت عقد معاهدة بروكسل الخاصة بالقضاء على تجارة الرقيق . واستلزم القضاء على هذه التجارة تحريم حيازة الأسلحة النارية على الافريقيين فى المنطقة التى تقع بين خطى عرض ٢٠° شمالا ، ٢٢° جنوبا ، وعلى هذا أخضع جزء من منطقة جنوب وسط افريقيا للحظر .

ووصلت الأسلحة النارية الى هذه المنطقة عن طريق تجار السلاح البرتغاليين ، وقبائل الفاندا(Venda) التى اندفعت شمالا تحت ضغط هجمات البوير ، ودخلت هذه القبائل فى علاقات مع قبائل المنطقة وخاصة مع الشونا ، وأمدتهم بالأسلحة النارية ودربتهم على استعمالها وصيانتها ، وعلى صناعة البارود والذخيرة محليا من المواد المحلية المتاحة، كأسلاك التلغراف ، والمسامير ، زجاجات الصودا ، والأحجار ، وكانت صناعة البارود محليا هامة لأن البارود ثقيل يصعب على تجار السلاح حمله الى المنطقة [٤١] ، كما وصلت الأسلحة النارية الى قبائل المنطقة

(40) Anthony Atmore and Others op cit., pp. 550-551.
(41) Anthony Atmore and Others, op. cit., pp. 553-554.

مع الافريقيين القادمين من مناجم الماس والذهب فى جنوب افريقية ، وكان لقبائل الكارنجا (Karanga) دور هام فى بيع البنادق بأسعار مرتفعة للشونا (٤٢) • كما كان عدد لا بأس به من أفراد قبائل الشونا والميتابيلى والجازا قد توجهوا للعمل فى هذه المناجم من أجل الحصول على السلاح • وفضلا عن هذا فقد كان للتجار الأوربيين والمغامرين والباحثين عن الذهب والمبشرين دور كبير فى حمل السلاح الى المنطقة ، وخاصة فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر بعد أن راجت الأساطير عن وجود الذهب الغنية فى قلب منطقة الزمبيزى (٤٣) •

واذا كانت ظروف التنافس الأوربى على اقتسام افريقية قد ساعدت على زيادة امدادات الأسلحة النارية الى منطقة جنوب وسط القارة ، فان هذا كان يعنى أن المنطقة قد عرفت تجارة السلاح قبل القرن التاسع عشر بثلاثة قرون عن طريق البرتغاليين ، خاصة وأن جزءا منها كان يقع فى نطاق منطقة تجارة الرقيق ، وكانت الأسلحة النارية تستخدم من جانب الوكلاء الافريقيين أو العرب من أجل صيد الرقيق وشحنه لحساب تجار الرقيق البرتغاليين ، وزادت الأسلحة النارية التى تشحن الى الداخل مع اشتراك دول أوربية أخرى فى تجارة الرقيق ، وكان صيد الفيلة من أجل الحصول على العاج — الذى كانت عائداته تفوق عائدات تجارة الرقيق — عاملا آخر شجع تجارة الأسلحة فى الداخل (٤٤) ، ورغم هذه العوامل المشجعة لتجارة الأسلحة النارية فى منطقة جنوب وسط افريقية ، فان تداول هذه الأسلحة مع أفراد القبائل الافريقية كان محدودا ، واقتصرت حيازة الأسلحة على الزعامات الهامة أو التجار ،

---

(42) Beach, D.N. The Rising in South-Western Mashona, 1896-1897, Ph.D. London University Thesis, p. 145.

(43) Cary, R. Chartered Royal, Salisbury, 1970, pp. 26-27.

(44) Beachery, D.N. op. cit., p. 462.

وظل استخدام الأسلحة النارية بين القبائل الافريقية نادرا • وعلى هذا فان مملكة المونوتوماتابا (MONOMUTABA) [٤٥] لم تعرف استخداما ذا مغزى لهذه الأسلحة فى حروبها القبلية طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، كما أن ملوك الروزوى [٤٦] كانوا يفضلون استخدام الأسلحة التقليدية فى قتالهم ضد جيرانهم •

وفى القرن التاسع عشر حدثت تطورات فى المنطقة أدت بقبائلها الى زيادة استخدامهم للأسلحة النارية ، ففى الثلاثينات من القرن التاسع التاسع عشر هاجر الزولو من مناطقهم فى الترنسفال تحت ضغط البوير الى منطقة شمال اللوموبر والزمبيزى ، واستقر جزء من الزولو فى أرض المانيكا (Manica) وأسسوا مملكة الجازا ، واستقر قسم آخر فى منطقة جنوب الزمبيزى وأسسوا مملكة المتابيلى [٤٧] • وتعرضت قبائل المنطقة من الشونا الى غارات الجازا والمتابيلى ، وكانت القبائل المغيرة قبائل محاربة تعودت على السلب والاغارة ، ورغم عدم استخدامها للأسلحة النارية فانها كانت تستطيع احراز نصر على الشونا الزراعيين بما لها من تمرس طويل بأساليب الحرب • واضطر الشونا الى استخدام الأسلحة النارية ضد المغيرين الجدد ، وتعاونوا من أجل ذلك مع البوير أحيانا ، ومع قبائل الفاندا (Venda) أحيانا أخرى ، كما دخلوا فى علاقات تجارية مع البرتغاليين من أجل تزويدهم بالأسلحة النارية •

---

(٤٥) تأسست مملكة المونوماتابا على ما يعتقد فى القرن التاسع الميلادى، ويقال أن قبائل الكارنجا (Karanga) التى وفدت على شمال وشرق أرض الماشونا من الشمال هى التى شكلت هذه الملكة التى عرفت فى الأصل باسم (Mwene Mutapa) ثم حرفت بعد ذلك الى المونوماتابا .

(٤٦) تأسست مملكة الروزوى Rozwi فى أواخر القرن السابع عشر الميلادى بعد أن اسقطت قبائل الروزوزى مملكة المونوماتابا ، ولا يعرف من أين وفدت هذه القبائل ، والأرجح أنها أتت من جنوب غرب افريقيا .

(٤٧) تأسست مملكة الجازا فيما يعرف اليوم باسم موزمبيق ، وتأسست مملكة المتابيلى فيما يعرف اليوم باسم زمبابوى .

ونجح الشونا فى التصدى للمتابيلى بفضل استخدامهم للأسلحة النارية ، كما حدث فى الستينات من القرن التاسع عشر حين هزم زعيم الشونا شـــيبا موابا مو (Chiba Munabamu) قوة المتابيلى المغيرة [٤٨] ويلاحظ أن الشونا أقدموا على منح امتياز للبوير فى عام ١٨٩٠ عرف باسم امتياز ادندورف (Adendorff) ، قبل الشونا بموجبه مســـاعدة البوير لهم فى صد هجمات المتابيلى مقابل بعض الحقوق للبوير فى أراضيهم ، كما عقد الشونا معاهدة مع البرتغاليين فى عام ١٨٨٩ ، وقبلوا بموجبها الأسلحة البرتغالية • والاعلام البرتغالية بهدف التصدى لهجمات الجازا والمتابيلى [٤٩] فى أراضيهم ، ومع زيادة وصول الأسلحة النارية الى الشونا شعر المتابيلى والجازا أن غاراتهم على الشونا أصبحت غير مجدية •وكلفت الأسلحة النارية الشونا مبالغ كبيرة رغم أن ما وصل منها اليهم كان عتيقا ومتخلفا ، لأن سعر البندقية العادية كان يعادل مهر عروس من الشونا ، كما كانت البندقية الجيدة يعادل سعرها سعر مائتى رطل من العاج [٥٠] • ولم يستخدم الشونا الأسلحة النارية ضـــد الأوربيين الا فى ثورة ١٨٩٦/١٨٩٧ ، وقد طال أمد مقاوماتهم ضـــد قوات شركة جنوب افريقيا البريطانية مدة ستة عشر شهرا ، وقد تم العثور على نحو ألفى بندقية فى مناطق الثوار ، وكانت هـــذه البنادق معظمها انجليزية الصـــنع من نوع انفيلد سنيدر Einfield Snider ، وهنرى مارتينى Henry Martini [٥١] ، وهذا يدل على أن معظم هذه الأسلحة وصلت اليهم عن طريق المستوطنين الانجليز ، كما يثير الشكوك فى تورط بعض مسئولى ادارة الشركة فى شحن الأسلحة الى القبائل حرصا على الأرباح التجارية العالية •

---

(48) Beach, D. N. op. cit., pp. 143-144.

(49) Ibid., pp. 158-160.

(50) Tabler, E.C. The Far Interior, Capetown, 1956, p. 165.

(51) Anthony Atmore and others, Op. cit., p. 553.

ودخلت الأسلحة النارية الى ممكلتى الجازا والمتابيلى ، وأدركت الملكتان أهمية هذه الأسلحة ، وحرصتا على الحصول عليها لما لا حظتاه من تأثيرها فى تغيير موازين القوى . وطلب المتابيلى الأسلحة من الأوربيين الذين وصلوا الى المملكة بعد أن نزلت بهم الهزيمة على أيدى أتباعهم السابقين من قبائل النجواتو (Nagwate) فى عام ١٨٦٣ ، بعد أن تسلحوا بالأسلحة النارية ، ودخلوا فى علاقات وطيدة مع الانجليز فى جنوب القارة الافريقية (٥٢) وزاد هذا من رغبة المتابيلى فى الحصول على الأسلحة النارية ، وفضلا عن ارسالهم شبابهم الى مناجم الماس للعمل هناك وشراء الأسلحة ، فانهم حاولوا الحصول عليها من مندوبى الشركات الأوربية التى تشكلت فى بلادهم فى السبعينات من أجل استثمار كنوز الذهب التى اعتقد أن بلادهم مليئة بها . ويرجع سبب موافقة ملك المتابيلى لوبنجولا (Lobengula) على امتياز رود (Rudd) الى أن هذا الامتياز الذى صدر فى عام ١٨٨٨ لحساب رودس يقضى بمنح المتابيلى ألف بندقية من نوع هنرى مارتينى Henri Martini ومائة ألف طلقة ذخيرة (٥٣) . ومع أن المتابيلى حصلوا على الأسلحة النارية فانهم لم يستخدموها فى غاراتهم ، وظلوا يستخدمون الأسلحة التقليدية ، ويرجع السبب فى هذا الى أن ملوك المتابيلى كانوا يخشون تمرد زعاماتهم عليهم اذا ما دربوا على استخدام هذه الأسلحة ، وقد ظلت الأسلحة النارية التى تسلمها ملك المتابيلى من جماعة رود فى المخازن دون استخدام ، وعثرت عليها قوات الشركة فى عام ١٨٩٣ حين أسقطت مملكة المتابيلى ، وفى أثناء حرب المتابيلى كان استخدام الملك وجيشه للأسلحة النارية نادرا ، غير أن المتابيلى نجحوا من خلال الأسلحة فى ابادة قوات الضباط الانجليزى ويلسون التى بلغ عددها ثلاثون جنديا ، وأغرقوهم فى نهر شانجانى (٥٥) .

---

(52) Galbraith, J.S. Op. Cit., p. 15.
(53) Glass, S. The Matabele War, London, 1968, p. 8.
54) Ibid., p. 192.
(55) Ibid., p. 192.

وفى عام ١٨٩٦ ثار الميتابيلى على حكم شركة جنوب افريقية البريطانية • وتحصن الثوار بتلال الماتوبو Matapoo ، وأنزلوا بالقوات الأوربية هزائم كبيرة بفضل استخدامهم للأسلحة النارية ، وقد رفض الثوار خلال مفاوضاتهم مع رودس التجرد من أسلحتهم ، لأنهم أدركوا أنها ضرورية لهم لاجبار الشركة على الموافقة على شروط معقولة • وكان ما لدى الثوار الميتابيلى يبلغ نحو ستة آلاف بندقية ، ومعظمها بريطانية الصنع ، وبالنسبة للجازا فقد قبل ملكهم تسلم الاعلام البرتغالية نظير تسلم بعض الأسلحة النارية منهم ، وكان للجازا جيش كبير يقدر بنحو خمسة عشر ألف جندى ، ويتسلح نحو ربع هذا الجيش بالأسلحة النارية ، وكان للهنود دور كبير فى امداده بالأسلحة الى جانب البرتغاليين ، وقد تمكن ملك الجازا جنجنهآنا Gunghana أن يصمد أمام قوات البرتغاليين مدة ستة عشر شهرا ، ولم ينجح البرتغاليون فى القضاء على مقاومته الا بعد أن وصلتهم المدافع الرشاشة ومدفعية الميدان من لشبونة •

ويلاحظ الأوربيين وأن استخدموا الأسلحة النارية المتفوقة ضد الميتابيلى والجازا ، فانهم كانوا يدركون قوة هاتين المملكتين ، ومن ثم حرصوا على التفاوض معهما حين اندلعت فيهما لواء الثورة ، كما حرص ملكاها على استمرار التفاوض لأنهما أدركا أنه لا قبل لهما بمواجهة السلاح الأوربى ، ومن ثم سهلت الأسلحة النارية مهمة الاتفاق بين الجانبين • وكانت مملكتا الجازا والمتيابيلى آخر الممالك التى سقطت على يد الأوربيين ، ولم يكن تأخر سقوطهما ناجما عن بعد أراضيهما ، أو لعدم الرغبة الأوربية فيهما كما هو الحال بالنسبة لجنوب غرب افريقيا ، ولكن الأوربيين لم يكونوا حينئذ أقوياء بالدرجة الكافية التى تؤهلهم لمواجهة هاتين المملكتين •

## محاولات تقييد تجارة السلاح فى جنوب افريقية :

أدركت العناصر الأوربية التى سكنت جنوب افريقيا حاجتها للأسلحة النارية من أجل التوسع والاستيلاء على الأراضى الخصبة ، وتأمين

المراعى والدفاع عن النفس وصيد الحيوانات ، وعلى هذا أتاحت بريطانيا دخول السلاح الى هذه المنطقة ، وكانت التجارة فيه مشروعة ، غير أن الأوربيين حاولوا حظر حيازة الافريقيين لهذه الأسلحة خشية استخدامهم لها ضدهم ، وطبقت هذه السياسة على جميع مستعمرات الجنوب ، وأكدت اتفاقية ساند رفر Sand River التى عقدت بين البوير والانجليز فى عام ١٨٥٢ هذا الحظر ، وحرمت على الافريقيين حمل السلاح واستخدامه دون ترخيص رسمى (٥٦) • على أن الحظر جوبه بمعوقات كثيرة منها أن البوير أنفسهم اضطروا لقلة عددهم الى الاستعانة بالافريقيين فى رعى ماشيتهم ، وفى الصيد وفى مطاردة القبائل المعادية ، واستلزم الأمر تدريبهم على استخدام الأسلحة النارية ، وحذق الافريقيين الموالون فى استخدام الأسلحة وخاصة الهوتنتوت • وتحدى المبشرون الأوربيون قوانين الحظر ، وطالبوا بالغائه على أساس أن حمل السلاح النارى ضرورى للافريقيين لتصريف بعض شئونهم الاقتصادية ، هذا فضلا عن أن الأسلحة النارية وصلت الى الافريقيين من خلال منافذ خديدة كسرقته من الأوربيين ، وشرائهم له من الوكلاء الافريقيين أو الهنود أو الأوربيين ، وكانت أسعاره العالية تمثل اغراءا كبيرا لهم ، كما كانت هذه الأسلحة مصدر دخل جمركى كبير لمستعمرات الجنوب ، ولم تلتزم سلطات المستعمرات بقرارات الحظر بصفة جماعية ، وتعرضت المستعمرة التى تشتد فى تطبيق الحظر لخسائر مالية كبيرة تضطر على أثرها الى الغائه بعد فترة قصيرة ، كما حدث فى الناتال حين ألغت الحظر الذى فرضته على حيازة الافريقيين للأسلحة النارية فى عام ١٨٧٤ بعد عام واحد (٥٧) ، وذلك بعد أن اكتشفت أن تجارة السلاح قد تحولت عوائدها الى المستعمرات الأخرى وأن تهريب السلاح داخل أراضيها ظل على

---

(56) Anthony Atmore and Peter Sanders ; Op. Cit., p. 539.

(57) C.D. 879 No. 180 (African) Bulwer to Hicks Beach. Sept. 3rd 1879, secret and confidential.

العمالة الافريقية للعمل فى المناجم من أجل تعدين الماس والذهب ، وكان ما هو عليه • وفى السبعينات من القرن التاسع عشر زادت الحاجة الى الحصول على الأسلحة النارية يمثل اغراءا كبيرا للافريقيين الذين تهافتوا عليه • واضطرت سلطات المستعمرات الى التغاضى عن الحظر النظرى على حيازة الافريقيين للأسلحة النارية ، وكانت عملية انتهاك الحظر تتم فى شكل التراخى فى استكمال اجراءات استيراد السلاح بالشكل القانونى •

ويتضح مما جاء فى كتابات المعاصرين أن مستوردى الأسلحة فى مستعمرة الرأس كان يتعين عليهم قانونا أن يقدموا اقرارا يوضحون فيه الجهة التى سيبيعون لها السلاح ، وكانت السلطات فى المستعمرة تتجاهل هذا الاجراء حرصا منها على زيادة استيراد السلاح ، وجمع حصيلة كبيرة من الضرائب الجمركية التى كانت تفرض على دخول السلاح الى المستعمرة • وبجانب هذا كانت السلطات لا تتقيد بما جاء فى قوانين المستعمرة الخاصة بضرورة استصدار الافريقيين تراخيص من القاضى العام لشراء الأسلحة وحيازتها ، كما كان التجار يتفقون مع السلطات على تجاهل مثل هذا الاجراء [٥٨] •

وفى مستعمرة الناتال كان من المقرر أن يتم دمغ الأسلحة وتسجيلها حالة استيرادها من أجل تسهيل مهمة ضبطها اذا تسربت الى أيدى الافريقيين ، ومعاقبة تجار السلاح الذين قاموا ببيعها لهم ، ولكن سلطات الناتال كانت تبدى تراخيا شديدا فى متابعة مصير الأسلحة النارية بعد انتهائها من دمغها وتسجيلها رغم ادراكها يقينا أنها تتسرب الى الافريقيين • ومن الناتال كانت الأسلحة النارية تتجه الى أرض الزولو والسوازى لاند وأما تونجالاند [٥٩] ، وفى الترنسفال كان يتم تهريب الأسلحة النارية

(58) Anthony Atmore and others op. cit. p. 547.

(59) F.O. 48/19 No. 372, Euan Smith to Salisbury, Dec. 15. 1888.

تحت عدد غير قليل من السلع التجارية المشروعة ، وتراخت السلطات فى تفتيش السفن ، وكانت تكتفى بالتفتيش الشكلى ، واثبات أنه لا توجد أسلحة نارية على ظهر السفن • ومن الترنسفال تتجه الأسلحة النارية الى شرق لومبوبو ، والى بلاد النجواتو Nagwato ومنطقة الزمبيزى الغنية بالعاج والرقيق والثروة الحيوانية (٦٠) • وكانت شحنات السلاح توزع علنا وبكميات كبيرة ، وبالتالى لم يكن الحظر على الافريقيين الا حظرا نظريا فقط •

وساعد على زيادة شحنات السلاح داخل جنوب افريقية وفى الأقاليم المجاورة التى تقع الى الشمال منها أن الافريقيين كانوا يعلقون أهمية كبيرة على حيازة السلاح حتى النوعيات المنخفضة منها الى جانب ارتباط تجار السلاح بتجارة السلع المشروعة الأخرى ، واستخدام الأسلحة النارية لفتح الانهار الداخلية للملاحة ، والوصول الى الأقاليم الداخلية ، وترويج التجارة الأوربية فيها ، وخاصة السلع التى كانت تحظى بطلب كبير عليها من جانب الافريقيين ، كالمشروبات الروحية • وتواكبت هذه العوامل مع ظروف التنافس الأوربى على افريقيا ، وسيادة مبدأ حرية التجارة ، وانعدام وجود أية حدود سياسية بين الأقاليم (٦١) ، وفضلا عن هذا كانت الأسلحة تستخدم لشراء الامتيازات والمنح من الزعماء الافريقيين ، وأدى هذا الى اندلاع الثورات فى لانجبرج فى البتشوانالاند ، وفى أرض الماشونا والميتابيلى والى زيادة شحنات الأسلحة الى الافريقيين ، وقد لعب الهولنديون ( البوير )، والبرتغاليون الدور الأكبر فى تزويدهم بالسلاح ، كما كان للفرنسيين نصيب لا بأس به فى شحن الأسلحة اليهم ، وكانت سفن السلاح تأتى اليهم من موانىء مدغشقر لحساب الشركات الباريسية ، وحاولت انجلترا ايقاف شحن الأسلحة الى الزولو ، وطلبت من فرنسا التعاون معها غير أن فرنسا

---

(60) Sue Miers, Op. Cit., p. 571.

(61) Sue Miers, op. cit., p. 572.

اعتذرت عن عدم امكانية ذلك لأن السلاح كان يشترى فى أمريكا وينقل على سفن أمريكية (٦٢) ، وعلى هذا أصبح واضحا أن الأمر يحتاج الى اتفاقية دولية لوقف امدادات السلاح ، كما يحتاج الى التزام جماعى دولى ببنود مثل هذه الاتفاقية ، وكان هذا أمرا متعذرا فى ظل ظروف التكالب الأوربى على الاستعمار ، والتسابق على الربح ، وزاد الأمر خطورة أن أسلحة كثيرة تسربت الى أيدى الافريقيين فى ظروف حربى البوير والانجليز فى عامى ١٨٨١ و ١٨٩٩ (٦٣) ، وشجع هذا على رفع لواء الثورة ضد الأوربيين وجعل مسألة حظر الأسلحة على الافريقيين فى الداخل مسألة أكثر الحاحا فى جنوب افريقية •

وعلى هذا تعاونت المستعمرات فى تشديد الرقابة على شحنات الأسلحة المتجهة الى الداخل ورغم فاعلية هذا التعاون ، فان الأسلحة النارية ظلت ترسل الى الافريقيين فى جنوب القارة وان قلت نسبيا •

وأرادت مستعمرات الجنوب أن تعوض خسارتها من قلة شحنات الأسلحة للداخل ، فعملت على زيادة شحنات الأسلحة المتجهة عبر موانيها وأراضيها الى الشمال ، وأيدت بريطانيا هذا الاتجاه بعد أن أدركت صعوبة الوصول الى اتفاق مع الدول الأخرى لتقييد تجارة السلاح فى القارة الافريقية ، ففرنسا لا توافق على المنع بسبب ظروف التنافس الانجليزى والفرنسى فى شرق القارة والأزمة المصرية ، واصرار الفرنسيين على جلاء الانجليز عن مصر • وكانت لانجلترا تجربة فاشلة مع ألمانيا ، بعد أن انتهت المباحثات التى دارت بين البلدين فى النصف الثانى من الثمانينات فى شأن حظر تجارة السلاح لمنطقة غرب الباسفيك الى طريق مسدود ، وكانت موافقة ألمانيا على أى حظر للسلاح فى جنوب القارة

---

(62) C.O. 879/15 F.O. to C.O. April 2nd 1879, African No. 190.

(٦٣) لمزيد من التفاصيل حول حربى البوير راجع شوقى عطا الله الجمل : « مرجع سابق » ص ص ٢٨١ — ٢٩٠ •

أمرا حيويا بسبب الوجود الألمانى فى شرق وجنوب غرب افريقيا [٦٤]. كما كان التعاون قائماً بين البوير والبرتغال من ناحية أخرى ، وكانت مستعمرتا الرأس والناتال تشكوان من تسرب التجارة البويرية الى الموانىء البرتغالية ، ومن الرسوم الجمركية العالية التى يفرضها البوير على التجارة الانجليزية المارة عبر أراضى الترنسفال [٦٥]. وكان هذا التعاون البرتغالى البويرى حريا بأن يدفع الى الاعتقاد بأن البرتغال رغم اعلان استعداداتها لتنفيذ الحظر على السلاح المتجه الى جنوب القارة لن تلتزم به عمليا . وكان طبيعيا ألا تقدم بريطانيا من جانبها على حظر تجارة الأسلحة النارية لتخسر العوائد الكبيرة التى تجنيها منها ، ولتفتح المجال للدول الأوربية الأخرى لجنى هذه الأرباح . وعلى هذا اتفقت مصالح المستعمرات فى جنوب القارة مع مصلحة بريطانيا فى تحويل تجارة السلاح من المناطق الداخلية فى هذه المستعمرات الى الأقاليم التى تليها شمالا .

والغريب أن سولسبورى وزير خارجية بريطانيا كان يعتقد بعدم ضرر استمرار تجارة السلاح ، وكان من رأيه أن تجارة المشروبات الروحية لها آثار اجتماعية واقتصادية أكثر خطورة على الافريقيين ، وأنه من الأفضل أن نحاول الوصول الى اتفاق دولى لمنعهما . وكان سولسبورى يرى أن حظر تجارة السلاح من شأنه أن يحد من قدرة بريطانيا على الدفاع عن مستعمراتها ومصالحها داخل افريقيا ، وأنه اذا لم يكن لبريطانيا قوات عسكرية فى منطقة جنوب وسط افريقيا ، فانها تستطيع من خلال انسياب امدادات الأسلحة البريطانية اليها تأييد الزعامات الموالية لها ، وتحويل المنطقة الى مجال للنفوذ البريطانى ، ومن ثم فان الفائدة التى تعود على بريطانيا تكون فائدة مزدوجة سياسية واقتصادية

---

(64) C.O. 879/31.. African 381. C.O. to F.O., March 5, 1886.

(65) Robinson, R. and others, Africa and the Victorians, London 1961, pp 218-220.

وعسكرية اذا ما استمرت أسلحتها تصل الى الشمال ، وأرسل سولسبورى مذكرة تحوى وجهة النظر هذه الى مستعمرة الرأس ، وردت المستعمرة على المذكرة بأنها لا توافق على وجهة نظره ، وأنها لا ترى خطورة كبيرة فى استمرار تجارة المشروبات الروحية (٦٦) .

ويبدو أن هناك من الأسباب ما جعل سولسبورى ينادى بالغاء تجارة المشروبات الروحية ، فتجارة المشروبات الروحية تجعل الافريقيين فريسة سهلة أمام غارات الرقيق والباحثين عن الامتيازات والاتفاقيات ، كما أن المشروبات الروحية أخف وزنا من الأسلحة ، ويسهل نقلها . ومن ثم تشحن بكميات كبيرة ، وفضلا عن هذا فان التجارة البريطانية لن تتأثر بهذا المنع لأن تجارة المشروبات الروحية كانت تصنع محليا للافريقيين ، ولا تستورد من بريطانيا لانخفاض النوعية المطلوبة للمستهلك الافريقى .

وعارضت مستعمرة الرأس اقتراح سولسبورى لأنه يعنى ضياع عوائد كبيرة عليها تفرضها على المشروبات الروحية التى تستهلك محليا (٦٧) .

ولم يعد البريطانيون فى حاجة الى اتفاقية دولية لحذر السلاح ، ففى عام ١٨٨٩ كتب هركليز روبنسون H. Robinson المندوب السامى البريطانى الى وزارة المستعمرات البريطانية يقول أن سياسة تقييد السلاح قد جربت من قبل وثبت فشلها لأن الحكام المعاديين لا يجدون صعوبة فى منطقة جنوب الزمبيزى فى الحصول على السلاح من البوير بينما ترك الحكام الموالون تحت رحمة أعدائهم . والغريب أن يأتى هذا التصريح من جانب مسئول بريطانى كبير كهذا فى وقت بدا فيه أن الوقت مناسب لعقد اتفاقية لتقييد تجارة الأسلحة النارية لأن الحملة من أجل القضاء على تجارة الرقيق كانت فى أوجها . ونادت الجماعات الانسانية بتقييد تجارة السلاح داخل نطاق الرق فى افريقيا لما لهذه التجارة

---

(66) C. O. 879/31 F.O. to C.O. March 23, 1887.
(67) Sue Miers op. cit., p. 574.

من علاقة بتسهيل صيد الرقيق • وألحت ألمانيا على تنفيذ طلب تقييد تجارة السلاح بعد أن اندلعت ثورة بوشيرى فى شرق افريقية الألمانية فى عام ١٨٨٨ (٦٨) ، وطال أمد مقاومة الثوار للألمان بسبب استمرار تدفق السلاح عليهم • والغريب أن بريطانيا أيدت مطلب الغاء تجارة الرقيق • لأن الرقيق أصبح غير مرغوب فيه بالنسبة لها بعد فقدان مستعمراتها فى أمريكا ، وكان من الأفضل لها أن تحل محل هذه التجارة غير المشروعة تجارة مشروعة عن طريق شحن فائض انتاجها الصناعى الضخم الى داخل افريقيا ، ورغم التأييد الكامل لالغاء تجارة الرقيق فقد كان لها وجهة نظر مختلفة بالنسبة لتقييد تجارة الأسلحة النارية • فبغض النظر عما تجنيه من عوائد ضخمة من هذه التجارة ، فقد كانت الظروف السياسية والاقتصادية التى تمر بها جنوب افريقيا فى أواخر الثمانينات من القرن التاسع عشر تدعو الى استمرارها على الأقل من وجهة النظر البريطانية ، وقد عبر لورد نتسفورد Knutsford وزير المستعمرات البريطانى عن هذه الحقيقة فى عام ١٨٨٩ بقوله : « أن الوقت لم يكن من قبل غير موات كما هو الآن بالنسبة لبريطانيا لعقد أية اتفاقية دولية لحظر أو تقييد تجارة الأسلحة النارية فى افريقية » (٦٩) •

والظروف التى تحدث عنها نتسفورد عشية انعقاد مؤتمر بروكسل الخاص بالغاء تجارة الرقيق فى عام ١٨٨٩ تتلخص فى أن ملك الميتابيلى لوبنجولا Lobengula كان يطالب بريطانيا بالعون ضد البرتغال ، لأنه كان فى حاجة الى السلاح للدفاع عن النفس ، فاذا لم يزوده البريطانيون به فسيفقدون صداقته ، وسيحصل على السلاح من البوير (٧٠) ، وكان خاما Khama ملك النجواتو Nagwato يخشى هجوم بويريا على أراضيه

---

(68) National Zeitung, Oci. 24, 1888.

(69) C.O. 879/31. African No. 381, C.O. to F.O. March 1st, 1889.

(70) Sue Miers, op. cit., pp. 575-576.

ولن يستطيع الحصول على السلاح اذا لم تزوده به بريطانيا [٧١] ، كما أن حماية النجواتو كانت مسئولية بريطانية مباشرة بسبب ظروف الحماية البريطانية على شمال البتشوانالاند • وكان رودس (Rhodes) قد وعد ملك الميتابيلى لامداده بالسلاح مقابل منح الملك لجماعة الامتياز المعروف بامتياز « رود «Rudd» كما أنه على أساس هذا الامتياز منحت جلالة ملكة بريطانيا براءة ملكية لشركة جنوب افريقيا البريطانية فى اكتوبر ١٨٨٩ ، وكانت هذه الشركة تضطلع بمهمة ادارة منطقة سبق لبريطانيا أن أعلنت أنها تدخل ضمن دائرة نفوذها [٧٢] • وعلى هذا فانها ستخلص بريطانيا من مهمة التورط المباشر فى أعباء الادارة اذا دعت الظروف لذلك •

وكان مد شمال البتشوانالاند ومملكة الميتابيلى بالسلاح يلقى تأييدا كبيرا من جانب المندوب السامى البريطانى روبنسون ، ومن نائبه فى محمية البتشوانالاند المبشر جون موفات ، وكانت تشحن الأسلحة النارية الى جنوب الزمبيزى وبلاد النجواتو بالتساوى ، بدعوى تمكين الافريقيين فى المملكتين من الدفاع عن النفس ، واستخدام الأسلحة فى الصيد ، واشترطت بريطانيا لاستمرار امدادات السلاح اليهما أن يظل حاكمهما القبليون على علاقات صداقة معها [٧٣] وخشت حكومة الرأس مغبة التورط فى شحن السلاح تجاه الشمال ، واصرت على ضرورة أن يقدم حاكم محمية البتشوانالاند البريطانى اقرارا اليها يتضمن اعترافه بمصدر الأسلحة المشحونة عبر أراضيه وموافقته على تصدير الأسلحة الى الجهات المخصصة لها ، ووافقت بريطانيا على ذلك [٧٤] • وطالب نتسفورد

---

(71) C.O. 879/31 African No. 581, knutsford to Loch Nov. 19, 1889.

(72) C. 5918 knutsford to Robinson Jan. 31, 1289 and Hole, M. Lohengula, London, 1929, pp. 29-30.

(73) Sue Miers, p. 576.

(74) Sue Miers, op. cit., p. 575.

وزير المستعمرات بابقاء شحنات الأسلحة الى البتشوانالند وما يليها شمالا دون عوائق ، على أن يتم ذلك تحت اشراف السلطات البريطانية ، وألا تعوقه أية ارتباطات دولية .

لكن بريطانيا لم تستطع تجنب الدخول فى ارتباطات دولية ، ففى نوفمبر عام ١٨٨٩ انعقد مؤتمر بروكسل الخاص بالغاء تجارة الرقيق ، واتخذت ألمانيا وبلجيكا زمام المبادرة ، ودعت الدولتان الى تقييد تجارة السلاح داخل نطاق الرق فى افريقيا ، واقترحتا أن يتم ذلك لمدة ٢٥ عاما واقترحت بريطانيا أن تقتصر هذه المدة على خمس سنوات فقط (٧٥) . وتدخلت الدول الأخرى المشتركة فى المؤتمر ، وانتهى المؤتمر باتخاذ توصية بتقييد تجارة السلاح داخل نطاق الرق لمدة اثنتى عشر عاما ، وكانت هذه التوصية تمثل صيغة حل وسط بين الاقتراح البلجيكى الألمانى والاقتراح الانجليزى (٧٦) .

ومن الطريف أن التقييد لم يشمل مستعمرات جنوب افريقيا ، وظهرت براعة الدبلوماسية البريطانية فى هذه الناحية ، اذ تعللت بريطانيا بأن هذه المستعمرات لها حكومات تتمتع بالحكم الذاتى ، وأن أراضيها لا تقع ضمن نطاق الرق ، كما أن لها قوانينها الخاصة بتجارة السلاح ، وأن أى محاولة لتقييد تجارة الأسلحة داخلها تعد بمثابة تدخل فى شئونها ، وأنها أى بريطانيا لا ترى من صلاحيتها أن تتدخل لحث

---

(75) Ibid., p. 576.

(٧٦) كانت من مصلحة بلجيكا أن يطول أمد تقييد السلاح النارى داخل نطاق الرق ، لأنها كانت تجابه معارضة شديدة من جانب العرب فى الكنغو ، وكان سلطان زنجبار يمدهم بالسلاح فى مقابل تسهيل مهمة الرق ، واشتراكه فى تجارة العاج فى الداخل ، وبالاضافة الى هذا فان بلجيكا كانت تريد حظرا حقيقيا للأسلحة على الافريقيين داخل أراضى الكنغو لتأمين خطر الثورة من جانبهم .

مستعمرات الجنوب على الموافقة على أمر قد يضر باقتصادها (٧٧) ، وعارضت ألمانيا والبرتغال عملية عدم التقييد لتجارة الأسلحة فى مستعمرات الجنوب على أساس أن استمرار هذه التجارة فيها قد يسهل تصدير السلاح الى جنوب شرق وجنوب غرب افريقيا ، ولم يكترث المؤتمر برأى الدولتين ، وتمت الموافقة على المشيئة البريطانية (٧٨) ، وقيدت تجارة الأسلحة النارية داخل نطاق يمتد بين خط عرض ٢٠° شمالا وخط عرض ٢٢° جنوبا .

وبالنسبة لمحمية البتشوانالاند التى كانت أراضيها متاخمة لنطاق الرق وافقت بريطانيا على عدم السماح بمرور أسلحة دقيقة فيها ، أما بالنسبة لأرض الماشونا وأرض الميتابيلى واللتين تقعان فى نطاق الرق ، فقد التزمت فيهما بريطانيا بتقييد تجارة السلاح ، ومنع حيازته بالنسبة للأفراد ، غير أنها احتفظت لنفسها بحق الدفاع عن مناطق نفوذها ، وتسليح من تراه من قوى داخلية ولأسباب تتعلق بالمحافظة على أمنها (٧٩) .

وقد نصت معاهدة بروكسل لعام ١٨٩٠ ، والتى لم تنفذ الا فى عام ١٨٩٢ — على حظر استيراد الأسلحة النارية والبارود والقذائف النارية والخراطيش داخل المناطق الافريقية الواقعة داخل نطاق الرق ، وشمل الحظر الجزر التى تقع على بعد مائة ميل من الساحل ، وقضت المعاهدة التى وقعتها سبع عشرة دولة أوربية بوجوب حفظ الأسلحة النارية المتقدمة فى مخازن حكومية ، أما الأسلحة العادية فيمكن حفظها فى مخازن

---

(٧٧) كانت المانيا تتهم بريطانيا بأنها تهرب الأسلحة النارية عبر أراضى مستعمراتها ، وتغرقها بالمشروبات الروحية ، وأن مستعمرة الرأس تشحن الأسلحة الى جنوب غرب افريقيا . للاطلاع على تفاصيل هذه الاتهامات — انظر : F. O. 84/1759

(٧٨) راجع المادة الأولى والثامنة من معاهدة بروكسل لعام ١٨٩٠ .

(79) F.O. 541/38 No. 118 C.O. to F.O. Feb. 21, 1890.

خاصة ، على ألا تباع الأسلحة فى مناطق تجارة الرقيق ، وأجازت بيع الأسلحة من جانب الادارات المسئولة للرحالة أو الموظفين الذين تتطلب مراكزهم حيازة السلاح ، بشرط تسجيل هذه الأسلحة ودمغها ، على أن تحتفظ الحكومات لنفسها بحق تسليح قواتها الخاصة فى المنطقة ، ويلاحظ على هذه المعاهدة ما يلى :

١ — أن الحظر على شحنات السلاح لم يشمل المناطق الساحلية ، وانما اقتصر على الداخل فقط ، وعلى هذا كان يمكن للادارات المستعمرة استيراد السلاح وتشوينه فى الساحل ثم تهريبه تدريجيا الى الداخل •

٢ — أنها أتاحت للحكومات حرية التعامل فى السلاح ، والاحتفاظ به تحت ستار أغراض أمنية وبيعه لما تراه من الموظفين ، ومن الطبيعى أن يجد مسئولو الحكومات من المبررات ما يتيح لهم بيع السلاح بهدف الحصول على الأرباح العالية •

٣ — أن الحظر على تجارة السلاح لم يشمل افريقيا بعامة ، وانما منطقة حدتها المعاهدة بخط عرض ٢٠° شمالا ، ٢٢° جنوبا ، ومن ثم كان من السهل شحن السلاح من المناطق التى تلى هذا النطاق شمالا أو جنوبا •

٤ — أن المعاهدة سمحت للدول الداخلية التى لا موانىء لها باستيراد السلاح مع تقديم تعهد باستخدامه فى أغراض مشروعة ، وكان من السهل اصدار هذا التعهد ، وعلاوة على هذا فان المعاهدة سمحت باستيراد السلاح فى حالة وجود اضطرابات فى المنطقة ، وكان من السهل افتعال الأسباب للادعاء بوجود القلاقل فيها •

٥ — أن الترنسفال لم تشترك فى التوقيع على المعاهدة ، وبالتالى فانها لم تلتزم بقراراتها أو بنودها • وسهل هذا شحن السلاح منها الى جنوب وسط افريقيا ، كما أن فرنسا رفضت الموافقة على مبدأ تفتيش

السفن التى يشك فى حملها للسلاح والمتجهة الى نطاق الرق ، ومن ثم ظلت هذه عقبة كؤود أمام تنفيذ الحظر ، واستمرت شحنات الأسلحة تصل الى الافريقيين فى الداخل ، واندلعت ثورة الميتابيلى والماشونا فى عام ١٨٩٦ وثورة الماجى ماجى فى عام ١٩٠٥ ، واستمرت الثورات الافريقية فترات طويلة بسبب وفرة السلاح لديهم • كما أن تجارة الرقيق التى من أجلها عقدت المعاهدة استمرت دون قيد فى المناطق الداخلية من افريقيا حتى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن الحالى •

## الآثار التى ترتبت على تجارة الأسلحة النارية :

ترتبت على تدفق السلاح على جنوب افريقيا آثار سلبية كثيرة اتضحت فى زيادة تحدى الافريقيين للسلطات المستعمرة واندلاع الثورات ضد الأوربيين احتجاجا على السياسات الاستعمارية الجائرة كسياسة العمالة الاجبارية وسياسة المعازل ، والطرد من الأراضى الخصبة ، وقوانين الانتقال والعبور (Pass Laws) من منطقة الى أخرى وقوانين الاقامة فى المناطق الاستيطانية ، وقوانين التفرقة العنصرية الأخرى الكثيرة التى عانى منها الافريقيون فى جنوب افريقية • ولم تقتصر هذه الآثار السلبية على جنوب القارة فقط ، وانما امتدت الى جنوب وسط افريقية وجنوبها الغربى ، وفى عام ١٨٩٦ نشبت ثورة فى جنوب البتشوانالاند التى ضمت الى مستعمرة الرأس عرفت باسم ثورة لانجبرج Langberg احتجاجا على سوء معاملة الأهالى ، واعدام أعداد كبيرة من الماشية بعد تفشى وباء الطاعون بينها ، والحظر على امدادات السلاح النارى لهم ، وطالت مدة مقاومة الافريقيين لقوات حكومة الرأس الأوربية الى أحد عشر شهرا بفضل الأسلحة المكدسة لديهم [٨٠] • وفى نفس العام

---

(80) J.O. Aldridge. The langberg Rebellion (1896-1897). M. A. Thesis, London University, 1968, unpublished, pp. 21.

اندلعت ثورة الماشونا والميتابيلى فى جنوب الزمبيزى بسبب سياسة الأراضى وحاجة الافريقيين الماسة الى أماكن مناسبة لسكناهم (٨١) . وفى جنوب غرب افريقيا الألمانية تمكن الهيرورو والناما Herero and Nama بفضل ما لديهم من سلاح نارى أن يرفعوا لواء الثورة ضد الألمان فيما بين عامى ١٩٠٤ ، ١٩٠٧ وأوقعت هذه القبائل خسائر كبيرة مادية وبشرية بالمستعمرين ، وطال أمد المقاومة رغم ما فرضه الألمان من حظر على امدادات السلاح عن طريق خليج ويلفس (Walvis) وساعد على طول أمد المقاومة الافريقية أن السلاح ظل يصل الى الثوار عن طريق التهريب عبر خليج ساندوتش Sandwich لأرباح السلاح العالية (٨٢) .

وأدت الأسلحة النارية الى قلب موازين القوى بين الافريقيين ، وترجيح كافة الحائزين على كميات كبيرة منها على جيرانهم الذين يقلون عنهم تسلحا بها ، ففى شمال البتشوانالاند التى أعلنت عليها الحماية البريطانية فى عام ١٨٨٢ رجحت كفة قبائلها من النجواتو Magwato على الميتابيلى نتيجة تسليح البريطانيين لهذه القبائل بها ، وتزويدهم لها بأسلحة متقدمة . وبعد أن كانت هذه القبائل تابعة للميتابيلى تمكنت من هزيمتها فى عام ١٨٦٣ ، كما حولت قبائل الكالانجا ولائها من الميتابيلى الى النجواتو نتيجة لتفوق القبائل الأخيرة (٨٣) . واستخدمت الأسلحة النارية فى تصفية الخلافات القبلية عن طريق الردع ، وتدخل الافريقيون فى هذه الخلافات وشجعوا فريقا ضد الآخر مما أدى الى احتراق القرى

---

(٨١) راجع الأوراق البرلمانية تحت رقم C. 7555 للرجوع الى تفاصيل ثورة الميتابيلى .

(82) Bley, H. South West Africa under German Rule, London 1971, pp. 150-151.

(٨٣) سعد زغلول عبد ربه : تجارة الرقيق وآثارها على استعمار غرب افريقيا — المجلة المصرية للعلوم التاريخية — ١٩٧٤ .

ودمارها ، وقتل الكثير من الافريقيين [٨٤] • وتنافس الزعماء الافريقيون للحصول على الأسلحة ودخلوا فى اتفاقات غير متكافئة مع الأوربيين من أجل تزويدهم بالسلاح ، كما منحوهم امتيازات فى أراضيهم كما حدث عندما منح الميتابيلى لجماعة رود Rudd الامتياز الذى على أساسه تأسست شركة جنوب افريقيا البريطانية التى تولت استعمار منطقة الزمبيزى فى عام ١٨٨٩ •

واستخدم الأوربيون الأسلحة النارية ضد الافريقيين فى ازاحتهم من أماكنهم كما حدث حين أزاح البوير قبائل الزولو شمالا ، وأجبروهم على عبور نهر اللمبوبو فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، كما استخدموا الأسلحة النارية فى صيد الرقيق من أجل استخدامه فى الزراعة والخدمة المنزلية ورعى ماشيتهم ، وفى ارهاب الافريقيين العزل واجبارهم على تنفيذ أوامرهم • وسقط الكثير من الافريقيين نتيجة أعمال الارهاب التى شنها الأوربيون ضدهم ، ولم ينس الافريقيون سوء المعاملة الأوربية ، ومن ثم حرصوا على حيازتها واستخدامها وتعلم صيانتها واصلاحها • وقدموا خدماتهم فى مناجم الذهب والماس ثمنا للحصول عليها منذ السبعينات من القرن التاسع عشر ، ولا غرابة أن تنشب فى أواخر السبعينات أعمال عنف كبيرة من جانب الافريقيين ضد الأوربيين فى جنوب افريقيا ، اذ تتحدث وثائق وزارة المستعمرات عن حروب الاكسهوزا xhosa والسوتو Sotho والبدى Pedi مع السلطات المستعمرة فى عام ١٨٧٨ [٨٥] • وتشير هذه الوثائق الى طول أمد مقاومة الثوار

---

(٨٤) للاطلاع على تفاصيل امتياز رود — انظر الفصل الثانى من رسالة الدكتوراة غير المنشورة ل. ( محيى الدين محمد مصيلحى ) — الاستعمار البريطانى فى روديسيا الجنوبية — ١٩٢٣ ، جامعة عين شمس — كلية الآداب — ١٩٨٢ .

(85) Shula Marks and Anthony Atmore op. cit., p. 525.

الافريقيين ضد الجيوش الامبريالية ، كما تشير الى شكاوى المستعمرين من حيازة الافريقيين لأنواع متقدمة ودقيقة من الأسلحة وصفوها أنها أفضل مما لديهم من الأسلحة •

وشجعت تجارة الأسلحة النارية وازدهارها فى أواخر القرن التاسع عشر البرتغاليين على الاستمرار فى صيد الرقيق من مستعمراتيهما فى موزمبيق وأنجولا (٨٦) • وتعرضت المستعمرتان لنزيف سكانى كبير ، وكانت الحصون البرتغالية على سواحلهما مراكز لاستقبال الرقيق من الداخل وشحنه الى خارج القارة الافريقية • ويبدو أن أنجولا قد عانت أكثر من موزمبيق من جراء تجارة الرقيق حتى أنها سميت بالأم السوداء بسبب قربها من البرازيل التى ظلت البرتغال تشحن اليها الرقيق فترة طويلة •

وأدت زيادة الأسلحة النارية الى زيادة صيد الفيلة من جانب القبائل الافريقية ، واشتركت قبائل جنوب افريقيا فى جمع العاج والاتجار به ، وحتى منتصف السبعينات كان معظم السلاح النارى يوجه لعمليات الصيد ، وكانت عائدات تجارة العاج مرتفعة للغاية قدرتها الرحالة النمساوية اميلى هولوب (Emile Hollub) فى الثمانينات من القرن الماضى بنحو ثلاثة آلاف جنيه سنويا ، وهو دخل زعيم التسوانا من هذه التجارة (٨٧) ، ويقدر هيل (Hill) أن ما تم صيده من الفيلة فى عام ١٨٧٧ فى الشوشونج Shoshong عاصمة بلاد النجواتو باثنى عشر ألف فيل جمع منها ما يربو على ١٥٠ ألف رطل من العاج (٨٨) •

---

(٨٦) صبحى محمد نافع : تجارة الرقيق فى غرب افريقيا وآثارها الحالية ، رسالة دبلوم معهد الدراسات الافريقية ١٩٧٠ ص ص ٥٦ — ٥٧ .

(87) Emile Hollub, Seven years in South Africa, London, 1881, p. 386.

(88) H.M. Mill, The Passing of Black kings, London, 1932, pp. 129-131.

ويلاحظ أنه رغم استخدام الأسلحة النارية فى الحروب القبلية بين الافريقيين ، فان هـذا الاستخدام كان محدودا للغاية لارتفاع أثمـان الأسلحة التقليدية عليها • وظل الحال على هذا حتى السبعينات من القرن التاسع عشر حين أدت زيادتها فى أيدى الافريقيين الى استخدامها فى أعمال العنف ضد بعضهم بعضـا تدفعهم الى ذلك المنافسـات القبلية والمشاحنات حول المرعى والماشية ، ولا شك أن الأسلحة النارية قد أحدثت ثورة فى مجال الفتك ، وأسهمت فى تأخر الافريقيين حضاريا ، فبدلا من الاستفادة من هذه الأسلحة النارية المتقدمة فى حماية وتأمين بلادهم ، استخدم الافريقيون الأسلحة هذه فى تدمير مزارع أعدائهم القبليين وقتل ماشيتهم ، وأدت هذه الأسلحة الى زيادة تخفيض الكثافة السكانية فى المناطق الافريقية ، وذلك نتيجة استخدام الأوربيين لها فى ابادة الثوار الافريقيين واقتحام القلاع •

ولم يخل استخدام الأسلحة النارية من آثار ايجابية لأنه ترتب على هذا الاستخدام فتح المناطق الداخلية ، وتشجيع حركة الكشـف الجغرافى ، وتم الوصـول من الجنوب الى نهر اللمبوبو ، والزمبيزى واستكشـفت بحيرة نياسا (٨٩) ، ودخـل المبشرون الأوربيون لتعليم المسيحية ونشرها ، كما صحب دخول الأسلحة النارية تشجيع التجـارة المشروعة فى داخل جنوب القارة ، وكانت قوافل التجارة تعبر من الساحل الى الداخل فى حماية التجار المسلحين بالأسلحة المتقدمة ، وزادت عمليات المقايضـة بين الافريقيين والأوربيين ، ودخلت الى جنـوب القـارة المصنوعات الأوربية كالملابس القطنية والخرز ، وتم مبادلة هذه المنتجات غالبا بالعاج — الذى تهافت الأوربيون عليه (٩٠) •

---

(89) Evans, I, The British in Tropical Africa, Cambridge 1929, pp. 20-22.

(٩٠) كان عاج جنوب شرق القارة أفضل أنواع العاج لأنه يتسم بنعومة ملمسه واشتداد بياضه ، وكان يفضل عاج غرب افريقيا ، ومن ثم كان التهافت عليه ، والغريب أن هذا العاج كان أرخص سعرا لوفرته وسهولة الحصول عليه نسبيا .

وأحدثت تجارة الأسلحة النارية عدة تغيرات سياسية أهمها ازاحة الأوربيين للقبائل الافريقية ، كما حدث عندما أزيح الزولو من جنوب افريقية الى جنوب الزمبيزى وأرض المانيكا والجازالاند ، وظهرت فى هذه المناطق الجديدة ممالك بانتوية افريقية محاربة مثل مملكتى الميتابيلى والجازا ، غير أن هاتين المملكتين ما لبثتا أن سقطتا بعد أن نشط التجار الأوربيون والمغامرون فى التقدم من الجنوب صوب الشمال تدفعهم قصص وأساطير كنوز الذهب الموجودة فى تلال زمبابوى •

وكانت الأسلحة النارية وسيلة قمع وقهر مارس الأوربيون من خلاله السيطرة على الافريقيين وأجبروهم على زراعة أراضيهم ورعى ماشيتهم واستقطعوا أراضيهم الخصبة •

كما حطم الأوربيون من خلال حيازتهم للأسلحة المتقدمة الحركات الثورية الافريقية التى اندلعت ضد تسلطهم واستغلالهم •

ومن الناحية الاقتصادية كانت هذه الأسلحة وسيلة أغرى بها الأوربيون الافريقيين فى جنوب القارة وجنوب وسطه لجذب طاقاتهم العاملة لاستغلال مناجم الذهب والماس ، كما كانت وسيلة لابتزاز الأموال من الافريقيين وخداعهم لأن الأسلحة العتيقة العديمة الجدوى بالنسبة للدول الأوربية والفاسدة أحيانا كانت تباع للافريقيين بأسعار مرتفعة مستغلين جهلهم بفنية السلاح وطرق استخدامه • واتضح الاستغلال فى التباين الشديد بين ثمن القطعة الواحدة من السلاح فى المناطق الساحلية والمناطق الداخلية ذلك أنها كانت تباع فى الداخل أحيانا بنحو عشرة أضعاف ثمنها فى منطقة الساحل ، وهذا الارتفاع يصعب تبريره بتكلفة النقل الى الداخل ، وعلاوة على هذا فان السعر فى المناطق الداخلية نفسها كان يختلف اختلافا شديدا فى حالة السلام والاضطرابات ، ففى أثناء الاضطرابات كانت أسعار السلاح ترتفع ارتفاعا جنونيا •

ومن الناحية الاجتماعية استخدم السلاح ضد الافريقيين الذين تشردوا وانتقلوا الى مناطق نائية غير صالحة للسكنى ، كما حصدت أرواح الكثيرين منهم أمام الأسلحة الأوربية المتقدمة ، وسقط منهم الآلاف فى القتال مع الأوربيين كما حدث فى ثورة الماشونا والميتابيلى ، وارتد السلاح الى قلوب مروجيه بعد أن استخدمه الافريقيون ضدهم فى الحروب الكثيرة التى اندلعت ضد الأوربيين فى جنوب القارة فى الجزء الأخير من القرن التاسع عشر •

وأدت حروب الابادة والقهر ضد الافريقيين الى توتر العلاقات الاجتماعية بينهم وبين الأوربيين ، وأسفرت هذه الكراهية عن السياسات العنصرية الكثيرة مثل سياسة المعازل الافريقية والفصل الاقليمى — وهى السياسات التى أصبحت السمة المميزة للسياسة الأوربية تجاه الافريقيين منذ عهد الاستعمار حتى الآن فى جنوب افريقية ، كما أدت حيازة الافريقيين للأسلحة الى عمليات دمار نسبية بسبب استخدام السلاح ضد المنافسين القبليين ، وترتب على هذا أن ساد جو من التشاحن والتنافس الشديد بين القبائل الافريقية •

وخلاصة القول أن هذه الدراسة انتهت الى نتيجتين هامتين :

**النتيجة الأولى :**

أن تجارة السلاح فى جنوب القارة الافريقية وجنوب وسطها استمرت دون قيد خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، وزاد حجمها الى درجة هددت أمن واستقرار القبائل فى الداخل ، وأرقت فى الوقت نفسه المستعمرين الذين واجهوا قوة افريقية مسلحة حركها الاحساس بالظلم الى شهر السلاح فى وجههم •

**النتيجة الثانية :**

أن جهود التقييد لتجارة السلاح داخل جنوب افريقيا أو ما يليها شمالا قد منيت بفشل كبير بسبب ارباح التجارة العالية وتهافت الافريقيين

على الحصول على السلاح ، والتنافس الاستعمارى بين الدول ، واختلاف المصالح ، وعدم الالتزام الجماعى بقرارات التقييد داخـل مستعمرات الجنوب ، واستحالة الاتفاق دوليا على الحظر والتقييد • ونجم عن تدفق التجارة عصف بالقيم والأخلاقيات ، ولم تفلح الجماعات الانسانية فى الضغط وأحداث التقييد ، ودفع افريقيو جنوب القارة وجنوب وسطها ثمن هذه السياسية المادية واللاأخلاقية التى تتاجر بالأرواح ، ولم يستطع الأوربيون من بائعى السلاح الافلات من سوء مغبة تجارتهم ، وسقط منهم الكثير فى الثورات الافريقية • وظلت مستعمرات الجنوب تحاول الالتزام بالتقييد الداخلى على سكانها الافريقيين •

ومع هذا ظلت هذه المستعمرات خلال العقود الأولى من القرن الحالى تعانى من استمرار تهريب السلاح النارى الى الافريقيين فى أراضيها الداخلية •

## ( مكتبة البحث )

### أولا ــ وثائق غير منشـــورة :

( أ ) وتشمل وثائق وزارة المستعمرات البريطانية التالية :

C.O. 107.

C.O. 417-91.

C.O. 879/14, 15, 17 and 31.

( ب ) وثائق وزارة الخارجية البريطانية التالية :

F.O. 84/1759 and 1911.

F.O. 541/38.

F.O. 5732/73.

### ثانيا ــ وثائق منشـــورة :

وتشمل أوراق برلمانية بريطانية وهى :

1. C. 5918 (1889) Further Correspondence Respecting The Affairs of Bechuanaland and the Adjacent Territories.
2. C. 8547 (1897) Report by sir R.F.R. Martin on Native Administration of the British South Africa Company.

كما تشمل معاهدات منشورة فى :

Hertslet, E. The Map of Africa By Treaty, London 1909, (3, Volumes).

### ثالثا ــ رسائل جامعية متخصصة ( غير منشورة ) باللغة الانجليزية :

1. Aldridge, J.A. : The langberg Revolution (1896-1897) : M.A. London University Thesis, 1961.
2. Beach, D.N. The Rising in South Western Mashonaland (1896-1897), P.H.D. London, University Thesis, 1971.

## رسائل جامعية غير منشورة باللغة العربية :

١ — صبحى محمد نافع : تجارة الرقيق فى غرب افريقيا وآثارها الحالية ، رسالة دبلوم معهد الدراسات الافريقية ١٩٧٠ •

٢ — محيى الدين محمد مصيلحى — الاستعمار البريطانى فى روديسيا الجنوبية — رسالة دكتوراة غير منشورة — جامعة عين شمس — كلية الآداب ١٩٨٢ •

## رابعا — دوريات علمية تصدر باللغة الانجليزية :

1. Anthony Atmore and others : Firearms in South Central Africa Journal of Africa History, Vol. 12, No. 4, 1971.

2. Anthony Atmore and peter Sanders : Sotho Arms and Ammunition, Journal of African History, Vol. 12 No. 4, 1971.

3. Beachey R.W. The Arms Trade in East Africa in the late 19th century, Journal of African History, Vol. 3, No. 3, 1962.

4. Guy, J. J. A Note on Firearms in the Zulu Kingdom, Journal of African History, Vol. 12 No. 4, 1971.

5. Marks, Shula and Anthony Atmore, Firearms in Southern Africa Journal of African History, Vol. 12, No. 4, 1971.

6. Miers, Sue, Note on the Arms Trade and Government Policy in southern Africa between 1870 and 1980, Journal of African History, Vol. 12, No. 4, 1971.

7. Smith, K.W. The Fall of Bapedi of the North Eastern Transvaal, Journal of African History, Vol. x. No. 2, 1969.

## ( ب ) دوريات تصدر باللغة العربية :

سعد زغلول عبد ربه : تجارة الرقيق وآثارها على استعمار غرب افريقية ، المجلة المصرية للعلوم التاريخية ١٩٧٣ •

## ( جـ ) مراجع أجنبية :


1. Alpert, paul, Economic History of Europe in the 20th century, New York, 1951.
2. Barlet, Vernon, Struggle for Africa, London, 1935.
3. Bennet, N. O. Leadership in East Africa, Boston, 1968
4. Bley, H. South West Africa Under German Rule, London, 1971.
5. Brookes, E. H., The History of Native Policy in South Africa, Pretoria, 1927.
6. Cary Robert, Chartered Royal, Salisbury, 1970.
7. Chanler, W. A. Through Jungle and Desert, London, 1876.
8. Evans, I, The British in Tropical Africa, Cambridge, 1929.
9. Galbraith J. S. Crown and Charter, London, 1974.
10. Glass S. The Matabele War, London, 1968.
11. Hamilton, Agra, The Native Policy of the Voortrekers, Capetown, 1928.
12. Hill, M. M. The Passing of Black kings, London, 1923.
13. Hole, M. Lobengula, London, 1929.
14. Hollub, Emile, Seven years in South Africa, London, 1938.
15. Kewiet, De The Imperial Factor in South Africa, London, 1937.
16. Palgrave W. E. A Mission to Damaraland and Nmaqualand, Capetown, 1877.

17. Range, T.O. Revolt in Southern Rhodesia, London, 1967.

18. Robinson, R. and Others, Africa and the Victorians, London, 1961.

19. Smith, Moore (ed.) The Autobiography of General Sir Harry Smith, London, 1903.

20. Wallis, J. P. R. The Matabele Journals of Robert Moffat, — London, 1945.